الفن للحياة

بين مكسيم غوركي وانطون تشيخوف

الرسائل التي يكتبها الاديب لا يتوقع حين يكتبها ان يطلع عليها احد غير المرسل اليه هذه الرسائل تحوى عادة من المادة ما يحتوى انتاجه الفني (العمالية)..

وهذه المادة الخام من انتاجه تعتبرنا بالانسان الذي يقف وراء انتاجه ذلك لان ابلغ اثر هو ان يكون المرء انسانا ومن المثير ان نجد الانسان عند الـ ٨٩ رسالة التي كتبها مكسيم جوركي وانطون تشيخوف بهام واحد، وقبل ان يتمكن جوركي من ان يضع يده على القوى الحقيقية التي تصنع التقدم والحياة والسلام..

واول ما يسلفت النظر في هذه الرسائل هو ذلك الاندفاع الحار في رسائل جوركي وكثرتها ورغبته في ان تتواصل هذه الرسائل بينه وبين صديقه فهو يرى ان الادب الروسي لم يعرف قماما بقائل تشيخوف وانه العظم نموذج يعبر عن هذا الادب. ويقدم جوركي نفسه بانه (تشرد) بالادب وانه معاب (بشيء من العمل) وقبل تشيخوف المثقف هذه المعاهدة ويكتب لجوركي متسائلا: هل الحقيقة ثقفت نفسك بنفسك؟؟ ام الطبيعة يحس في اقاصيصك بانك ريفي، وانه امام ثقافة حقيقية. وان عرفت، وانه امام ثقافة حقيقية. وان ما كان هناك شيء غريب عنك وانه الفطاظة بالتاكيد..

فانت ذكي ذو حساسية نافعة رقيقة - وخير ما كتبت في السهب (وفي الطوف)..

وتتوالد هذه الرسائل بين جوركي وتشيخوف الى ان يشكو كل منهم للاخر متاعبه في الحياة واراءه في الادب والمراة، ومشاكل العائلة وعشرات المشاكل الاخرى الصغيرة والكبيرة التي يضيق بها كاتب يود ان يتفرغ لانتاجه وان يقدم للادب شيئا رائعا جديدا.

ويلاحظ ان جوركي كان يطلب من تشيخوف ان ينقد انتاجه بصراحة وكان بالفعل يقف فيه موقف التلميذ

غوركي

من استاذه، وعلى وجه التحديد في كتابة المسرحية فهو يدين لتشيخوف بالمسرحية الروسية التي اقبلت عليها الجماهير..

وتشيخوف هو الذي نصح جوركي بالكتابة للمسرح وان يحضر البروفات التي تجرى على الممثلين فهو خير معلم وخير دافع لكتابة هذا اللون من الادب وجوركي يكتب المسرحية تحت الحاح ورغبة صديقه تشيخوف ثم لا يلبث ان يمزقها... ولكن تشيخوف يشجعه ويظل عند رايه في ان الكتابة للمسرح امر واجب واذا فشلت فالمصيبة ليست بالكبيرة جدا.. وفعلا كتب جوركي مسرحيات درامية وارسلها الى تشيخوف مشجعا ومبديا الاعتراضات البناء في رسم بعض شخصيات هذه المسرحيات.. وامن جوركي بالنقد وقام باجراء كافة التعديلات التي اشار بها تشيخوف.. ولكن ... الا يحمل جوركي صوتا جديدا في عالم الادب وفي عالم الفن؟؟ وفي عالم الحياة من الطبيعي ان يبدي جوركي رايه في انتاج تشيخوف.. وان يصل بهذا الراى في بعض الاحيان الى النقد الفاسي الذي يجعله يصف قصة لتشيخوف (بالتفاهة) واهم من هذا ان يرفع صوته الجديد حين يقول لتشيخوف (انك بسبيل اقفل الواقعية واني لسعيد.. لقد رايناها ما فيه الكفاية.. فتدخل الزمن الذي نحتاج فيه الى البطولة فالناس جميعا يريدون شيئا مثيرا وخلابا شيئا كما نرى لا يشبه الحياة وانما يتجاوزها شيئا افضل منها واجمل..

وتلخصت نصائح تشيخوف لجوركي بان يبعد عن الفظاظة احيانا في اسلوبه وان يقلل من وصف الطبيعة ورسم المناظر في قصصه ولم يجد حرجا من ان يقول له ذات مرة ان مجموعته الاخيرة من القصص تبدو وكانها ليست لمؤلف واحد...

وهذا لم يمنعه من ان يهتف يبارك نزول جوركي الى ميدان النقد فهو يقول له: ان هذا ميزتك عني فانا لا استطيع ان اكتب كلمة واحدة خارج نطاق الادب.

وتصح الرسائل من حين لاخر بعض السطور للحديث عن الطقس القدر.. جوركي ينتابه السعال ولا ينام الليل، وتشيخوف يشكو سن الاربعين والصدر الخاوي والربو وسائر انواع الامراض الاجتماعية التي تحول بينه وبين الحياة الحرة.. ويرد عليه جوركي..

الاربعين يا رفيقي.. ومع ذلك فيا لتلك الكمية من المؤلفات التي كتبتها..

وتشيخوف يقرر بانه لم يعد شابا وانه كان اصغر الكتاب سنا حتى (برزت انت) فجلست انا فجاة ولم يعد هناك من يناديني باني اصغر الكتاب.

ويبلغ الامر في تبادل الشكوى بان يطلب تشيخوف من جوركي ان يساهم في جمع بعض المال لمرض السل في (يالتا) حيث يشفى تشيخوف. وان كان السل هو نهاية كل منهما فانه لم يكن مصدر الازعاج الوحيد..؟ فلكل منهما مشاكل اخرى يجعلهما احيانا يحلمان بالذهاب الى الصين؟؟. او الى حيث (لا يعلم الا الله ..) كما ينصح تشيخوف صديقه جوركي..

وان كانت مشاكل تشيخوف تتلخص في المرض واستغلال الناشرين فمشاكل جوركي كانت اكثر غزارة فهي تبدا بالعائلة وابن (العفريت) الذي تعلم الشتيمة من ابيه والزوار الذين ياتون في غير موعد وقيود المحلات الكبيرة التي تستعبد الانسان والكتاب الذين يكرهون

تشيخوف

بعضهم لانهم يحبون الشهرة..

واخيرا تتبلور مشاكل جوركي في شيء واحد.. الحكومة؟؟

فهي تمنعه من السفر الى موسكو وتحدد اقامته في البلد الذي تشاء؟ ثم تتفيه وتسلط عليه الرقابة على كتابته وعلى رسائله وتقتحم الشرطة منزله ويقيمون معه ويحيطون به الجواسيس. ولا يبقى امامه حتى يمكن ان يتسلم رسائل تشيخوف الا ان يكتب عليها اسم زوجته..

وما اجمل الصورة التي رسمها لنفسه وهو يضيق باحد المنافي التي وصفوه فيها حين يقول ساخرا:

واذا لم يسمحوا لي في الخريف بمغادرة هذا المكان فساعيش طاهية مفتش الضرائب الذي يقيم في مسكن يقابلنا.. وساجرها الى اعلى قبة جرس كنيسة في المدينة وساقي بنفسي من عل..

السماء تمطر وهذه لعنة لا تزول الطلاب تنبح والغربان تصرخ والديكة تصيح والاجراس تقرع اما الناس، فلا اثر لهم. لا يمر الطريق سوى الرهبان الذين يبحثون عمن يدفنونهم ولو بسعر ٣٠ كوبيك..

وتمضي الحياة بكل منهم في طريقه وجوركي ايضا اصبح شهيرا يتسابق عليه الناشرون كما تسابقوا على تشيخوف، وتبرز مشكلة النشر في الرسائل الاخيرة بينهما وتبدو الخبرة الجديدة لجوركي في هذه المسائل وبهتم بابداء النصح لتشيخوف في مقابلاته مع الناشرين.

وتمضي الحياة ينعكس فنها على الرسائل نفثات صدور (تتبارى في السعال) ويعذبها المرض وتدور بهما دوامة الظروف السياسية القاسية والاضطراب والسام والحيرة.

غير ان جوركي كان دائما يتحسس طريق المستقبل الذي يبداه الطلبة: فهم (افضل الجميع في هذه الايام التي نعيشها لانهم يسيرون الى العلم والمعرفة والبحث يسيرون بنا التحدي في النضال والمهم هو النضال.. لان النضال هو الحياة..

ابو ماجد - غزة

حول مسرحية الحكواتي

لن نتطرق كثيرا الى موضوع المسرحية، وطريقة اخراجها وادائها فقد قيل الكثير في ذلك.. وان ما يهمنا هو طبيعة الصراع في احداث المسرحية.

فاذا نظرنا الى علاقة الزوج بزوجه، وعلاقة الاب بابنه فهي جزء من العلاقات الانتاجية السائدة في اي مجتمع، وهي في مجتمعنا كما في اي مجتمع راسمالي علاقات قطبية قائمة على الاستغلال.

ان نظرة الرجل للمراة تحكمها وتحددها نظرة المجتمع عامة للمراة وهو في كل تصرفاته معها.. انما هو يتصرف باسم المجتمع الذي ينتمي اليه بمفاهيمه وعاداته، وتستثنى طبعا بعض الحالات الفردية التي تتجاوز حدود هذه المفاهيم والعادات التي ينقيد بها المجتمع.

ان البناء الاقتصادي في اي مجتمع هو ذلك الاساس " البناء التحتي" الذي يحدد مختلف العلاقات الاجتماعية والمؤسسات الحقوقية والدينية والفلسفية اي كل ما يمكن تعريفه كبناء فوقي سياسي للمجتمع. ولذلك فان النضال لتحرير المراة لا يتم الا من خلال النضال العام من اجل تغييرطابع العلاقات الانتاجية لان اي تبدل في الاساس يفترض تحولا وتغييرا في المفاهيم والعادات والافكار السائدة في المجتمع.

ان تناول مشكلة ومعالجتها بمعزل عن الوضع العام.. فكاننا نبحث في قشور المشكلة ونبتعد عن جوهرها الذي هو الاساس في وجود هذه المشكلة. وهكذا فان تحرر المراة رهن بتحرير غالبية المجتمع الذي يعاني من الاستغلال والقهر الاجتماعي.

ولانتبنى هنا ان وضع المراة في المجتمع الذي فرضته عدة ظروف اجتماعية وتاريخية مرتبطة اصلا بحقوقها من عملية الانتاج.. كان وضعها ممتازا، وكانت المراة تتمتع بمكانة رفيعة في المجتمع في العهود الاولى من التاريخ .. عندما كانت تسود علاقات انتاج مشاعية، ولذلك سمي ذلك العهد بطور الامومة.

ومع تطور القوى المنتجة، وزيادة انتاجية العمل .. حيث صار بالامكان الاستغناء عن عمل المراة -

التي لا تستطيع تحمل صعوبة الاعمال التي يقوم بها الرجل بسبب الحمل والولادة - حيث ادى ذلك الى ظهور الملكية الخاصة.. وبالتالي نشوء علاقات انتاج جديدة - علاقات طبقية، استغلالية، تحدد بالنتيجة دور المراة بالتزام البيت والطهو والعناية بالابناء والترفيه عن الرجل.

ومن هنا تحددت مكانة المراة ايضا في المجتمع - كشيء تابع للرجل.. تعتمد عليه في الاعالة والحماية والرعاية ولا تستطيع الاستغناء عن كونها مملوكة للرجل، وعليها من اجل ذلك ان تتحمل نزوات الرجل ومعاملته لها بالشكل الذي يحبه.

وبقيت هذه حال المراة في عصور الرق والاقطاع وعهد الراسمالية الذي نعيشه الان.. واذا كانت المراة قد حققت شيئا على طريق تحررها من تبعية الرجل.. فلم تحصل على ذلك بسهولة.. وانما نتيجة نضال طويل شاركت فيه الطبقات المسحوقة في المجتمع من اجل نيل حريتها ورفع الاستغلال والاضطهاد عن كاهلها.. فبقدار الانتصارات التي كانت تحققها هذه الطبقات.. كان وضع المراة يتحسن، وتنال قسطا اكبر من حريتها واستقلالها عن الرجل لان حريتها هي جزء من حرية افراد مجتمعها. ولا يزال امامها خطوات واسعة على طريق تحررها.. الذي لن يكون الا بالقضاء على علاقات الانتاج الراسمالية.. ولا عندما يتحرر جميع اعضاء المجتمع من الاستغلال والاضطهاد الطبقي.

المحرر الادبي

اعتذار

نعتذر للاخوة محمد كمال جبر، ( ) ومعتصم صندوقة عن عدم نشر مقالاتهم حول مسرحية الحكواتي، حيث ان ما جاء في تلك المقالات لم يختلف كثيرا عما جاء في مقالات سابقة نشرتها الطليعة واننا اذ نكتفي بما نشر، لنامل ان تكون الطليعة قد ساهمت في ادارة حوار جاد وبناء من اجل تفهم العمل المسرحي وتطويره الى افضل.

الطبيب الاخصائي

بقلم جميل السلحوت

الغالي محمود في الواحدة ليلا على فراش مرض شديد بجانبه الايمن، حاول ان ينقلبا لكنه لم يستطع ان يتقلب من شدة الالم الى شماله الى ان اخوه الاكبر على انينه فاستدعى الطبيب المقاصد ظنا منه ان اخاه اصيب بالزائدة الدودية

غير ان الفحوصات اثبتت انه يعاني من وجود ترسبات في كليته اليمنى. وقدم له الطبيب الاخصائي العلاج الذي ازال الالم بسرعة بعد ان طمانه بامكانية نزول "الحصوة" في وقت قريب بواسطة العلاج. واذا تعسرت فان الجراحة ستكون المحاولة الاخيرة لاستئصالها بسهولة دون ان تتاثر الكلية. وبعد ان انهى محمود دورة العلاج، عاد ليراجع الطبيب فاخبر انه سافر الى السعودية، فلم تصدق اذناه ما يسمع وانه كان يقرا في الصحف ان المهاجرين من وطنهم في هذه الظروف العصيبة لا يتعدى كونهم بعض المهنيين الذين غرهم بريق اموال البترول وذلك لجهلهم وعدم وعيهم، اما ان يهاجر طبيب فهذا ما لم تصدقه اذناه، وتساءل في نفسه ببساطة.. وهل يوجد من هو متعلم اكثر من الطبيب؟ فلم يجد جوابا وتساءل هل يعيش الطبيب في بلادنا محروما مثلنا نحن العمال؟؟ فاجاب بالنفي فعاد الى بيته والالم والحزن يعتصران قلبه.

وبعدها ذهب الى احد الاطباء غير المختصين في شارع صلاح الدين بالقدس فاخبره بانه لا لا اكثر. ولما ساله محمود عن طبيب متخصص اجابه الطبيب بعدم وجود هذا الطبيب وبقي محمود يتلوى من الالم والتفكير بامكانية وجود طبيب متخصص، وما هو مصير المرضى مثله وما هو الصمود الذي يدعو له الذين يدعون العلم من ابناء وطنه.

وبعد عراك طويل مع الالم، عادت البسمة الى وجه محمود عندما قرا في احدى الصحف المحلية بان الطبيب الاخصائي سيعود الى المستشفى بعد ان ينهي عقده مع السعودية في بداية العام القادم.

ومحمود يتلوى من الالم والهزال دون ان يعود الطبيب. ولما لم يستطع تحمل الالم اكثر واصبحت حياته مهددة بالخطر نصحه بعضهم بالذهاب الى احد الجراحين فذهب وهناك خير بين استئصال الكلية والحصوة معا؟. او ان يذهب الى مستشفى هداسا لاستئصال الحصوة فقط لوجود جراح متخصص في المسالك البولية هناك. فكر محمود هنيهة فوافق على ان تستاصل كليته والحصوة وذهنه سارح في مصير اخيه علي الذي يعيش بكلية واحدة ويعاني